قصة قصيرة

التبّانةُ ودرب الماعز

صباح محسن جاسم

يبدو لي سوف لن تنتهي تساؤلاتي الغريبة وإلحاحي المقرف في إقناع جاري من عدم جدوى زراعته لشتلات الأزهار عندما وجدته مقتبل شهر مايس منهمكا في ترتيب مساطب التراب والسواقي عند المساحة الضيقة خارج داره المطلة على الشارع الإسفلتي الذي نأى كأفعى ناكصة خارج نطاق حيّنا السكني ليصب في الشارع العام المؤدي إلى مدينتنا الوديعة. على الرغم من تخصصه في مجال الطب وما تقتضيه مثل تلك المهنة من محاذير التعامل مع الأتربة والأطيان مباشرة، تمسك كفه حفنة تراب يسد بها منافذ تسرب الماء من داخل لوح طويل هيّأه من جديد بعد ما خربته أظلاف قطيع الماعز الذي بدأ يظهر في حيّنا أثر التغيير وإسقاط تمثال الدكتاتور، فتملأ شوارعنا بكرات بعرورها الأسود اللامع كأنه نثار خرز منفرطة تتطامن بين أقدام المارة ساخرة من محاولات تفاديها. ينهض رافعا ساعديه في وضع يذكر بمن يهدد بطبنجتين ليدفع بأكمام ثوبه محافظا على وضعه منعا لسائل الغرين الكثيف من الهرولة إلى داخل الأكمام فيتغضن وجهه بحمرة تكاد تصبغ له كل وجهه عبورا إلى رقبته. يزفر ما في صدره من تعب اقعائه الطويل فيما يداري نباتاته الجديدة. يتابع الحديث وعيونه تتفقد المساحة الباقية التي غزاها تيار الماء المندفع من خرطوم المياه.

كانت الأزهار الملونة تحف بشوارع حيّنا، لم تكن هناك مثل هذه الجدران الأسمنتية العالية الأسوار. كان الألمان العاملون في الشركة يكتفون بسور خشبي يحيط البيوت لا يتجاوز ارتفاعه المتر يمتد أمام الدار تعترشه نباتات متسلقة بزهور بنفسجية تشبه الأبواق. مقابل كل دار شجرة يوكالبتوس. أفصح لي رئيس اللحامين اليوغسلاف من إن أشجار اليوكالبتوس تبعد عن نفسها الذباب المنزلي فلا يكاد يحط على أوراقها حتى ينفر مبتعدا.ولما وجدني جاري أجيد الإصغاء، استمر منبها: هل علمت ما حل بمسبح الحي ؟ أومأت مؤكدا ما آل إليه مسبحنا حين أحتله مختار منطقتنا الجديد غير المنتخب ليسكن فيه وكيف اغتصبت دور الدولة ومراكزها الترفيهية لتتحول إلى منافذ ومراكز لمجموعات ما انزل الله بها من سلطان. تذكرت يوم كان صديقنا البولوني يصطحب زوجته إلى المسبح داخل الحي قرب منتجع الكانتين. كنت أراقب سيقان تلك الفتاة البرونزية وجسمها اللدن المكشوف مبررا تجاوز نظراتي الشبقة من كونها امرأة أجنبية! سرعان ما تشتتت تلك الصورة من خيالي الخصب ما أن فاجئني صديقنا البولوني عند مدخل المسبح يمشي ألهوينا حاملا زوجته على ظهره وساقاها يطوقان خاصرتيه وذراعاها يعانقان رقبته، يمران إلى جانبي، يقهقهان كأنهما طفلان!قطع حديثنا عواء كلاب متسكعة تتجول بحثا عن طعام من بين أزبال طفحت من حاوياتها. فوجدتني أسائل نفسي: وهل تذكر يوم أعدموا روكي الصغير، كلب الدكتور حمدان مدير عام الشركة؟ أي ذاكرة لعينة تلك التي لا تفارقها مشاهد ما يطبعه الجهل من جرائم فيعكر هدوء حياتنا الراحلة؟ بدا مشهد الشنق يتوضح شيئا فشيئا ويتجسد بشجرة اليوكالبتوس وغصنها الباكي المشنوق بأنشوطة من نفس حزام العنق لذلك الذي يعوي كمواء قطة. كيف أقعى المدير العام وزوجته الروسية يبكيان كلبهما وهما يضربان بقبضات أياديهما على جذع الشجرة الهرمة.انتبهت إلى أني لا أعي إلى كلّ ما يقوله جاري فمضيت أجاريه بإيماءة من رأسي موافقا على كل ما حدثني وحدث نفسه به. تفحصت عيناي بقايا جذع أكبر شجرة يوكالبتوس في الحي.

كنت أعرف الماضي البعيد للحي ودوره السكنية التي بناها الألمان لعمالهم وخبرائهم في المصنع الذي أنشأوه زمن ستينات القرن الماضي وتخليهم عنها عائدين إلى ديارهم. وكل ما رافق ذلك من خدمات حتى السيارة الحوضية التي كانوا يدعونها بفراشة المستنقعات بخلاف واقع حالنا الآن عندما بدأت تُفتح الأرصفة المواجهة للدور المؤجرة حديثا لعمل مستودعات مخلفات بالوعاتهم من قاذورات وأوساخ.

مرت ثلاثة أيام حتى بدأت شتلات الأزهار تستعيد نظارة أوراقها وسط جو بارح من نسيم الصباح. كدت أحسد جاري لما سيجنيه من أزهار وورود لولا أني عدت ظهيرة يومي لأشاهد جاري يدفع بيديه العاريتين داخل لوح حقله النموذجي الصغير وغبرة من تراب تلتف من فوقه وحوله. قلت وأنا اقترب منه: هل فعلها ثانية جرادنا الأسود ؟ التفت دون أن ينهض وابتسامة مطبوعة على وجهه: هل تعلم كم يخسر أحد المصارف البريطانية سنويا من قيمة أرباحه ؟ لم ينتظر إجابتي بل واصل باعتداد: ستمائة ألف باونا إسترلينيا. لسبب بسيط مفاده الثقة التي يوليها المصرف في زبائنه. بعض من أولئك الزبائن لسبب أو آخر يستنفد كل ما لديه من رصيد، فيستدين مبلغا ليسد به وضعا اضطراريا يتفهمه المصرف. أخيرا أجتمع مسئول المصرف بالمعنيين من موظفيه والطلب منهم بتقديم مطالعة بالأمر ومقترحات ينصحون بها. أجمعت الآراء إلى أن هناك من بين الغالبية من الزبائن من هو أهلٌ للثقة والحال تقضي بمواصلة تقديم تلك الخدمة دون التفريط بأولئك الزبائن.. لم يندهشوا لقرار المدير وهو يؤكد: علينا المحافظة على مصداقيتنا لدى زبائننا. الحال سيتغير قلت مناكدا: ما الذي ترجوه بعد إن أُكلت نباتات زهورك التي لم تُخلق بعد؟ تأملني فيما أصابع يديه تقرص جلد الطين من بين بقايا جذور الشتلات الموجوعة. ابتسامة لم تفارق محياه وضحكة سبقت كلماته المكابرة: سأضع حاجزا خشبيا بسيطا. ستدفع بقايا الجذور براعمها الجديدة. سيتعلم هؤلاء وغيرهم إن للماعز أماكنه الخاصة أليس هو جاري نفسه من كان يتسلى العام الماضي وهو يصوب بندقيته الهوائية إلى أعناق ذلك النوع من شتلات الأزهار مجرد تساؤل قفز إلى الذهن. ما أبلغ فرحته وهو يصيب أهدافه المفتعلة قاطعا سيقان النباتات واحدا تلو الآخر ! على أن البقية ممن كتب لها البقاء والعطاء أزهرت أجمل الأزهار الملونة ما جعل جاري بعد حين يتألم نادما وهو يشاهد فضاء الخضرة تتوجه أزهار ذات رونق أخاذ، حتى عزم على تكثيرها.تأملت وجهي في المرآة. كان وجه جاري يجاورني تماما. تطلعنا إلى بعضنا هنيهة. علت الابتسامةُ وجهينا لسر كنا نجهله سوية حتى اكتشفناه. اليوم تمر أربعينية الشهيد جاري الدكتور. ازدحمت المقبرة برائحة زيت الشموع الدمّاعة. لم ألحق لقاء أحد من عائلته أو أقربائه وحتى أصدقائه.. لكني وجدت حشدا من باقة للأزهار أسفل شاخص القبر، عينها التي شغف بزراعتها الدكتور، تغمز بابتسامة ألفتها.

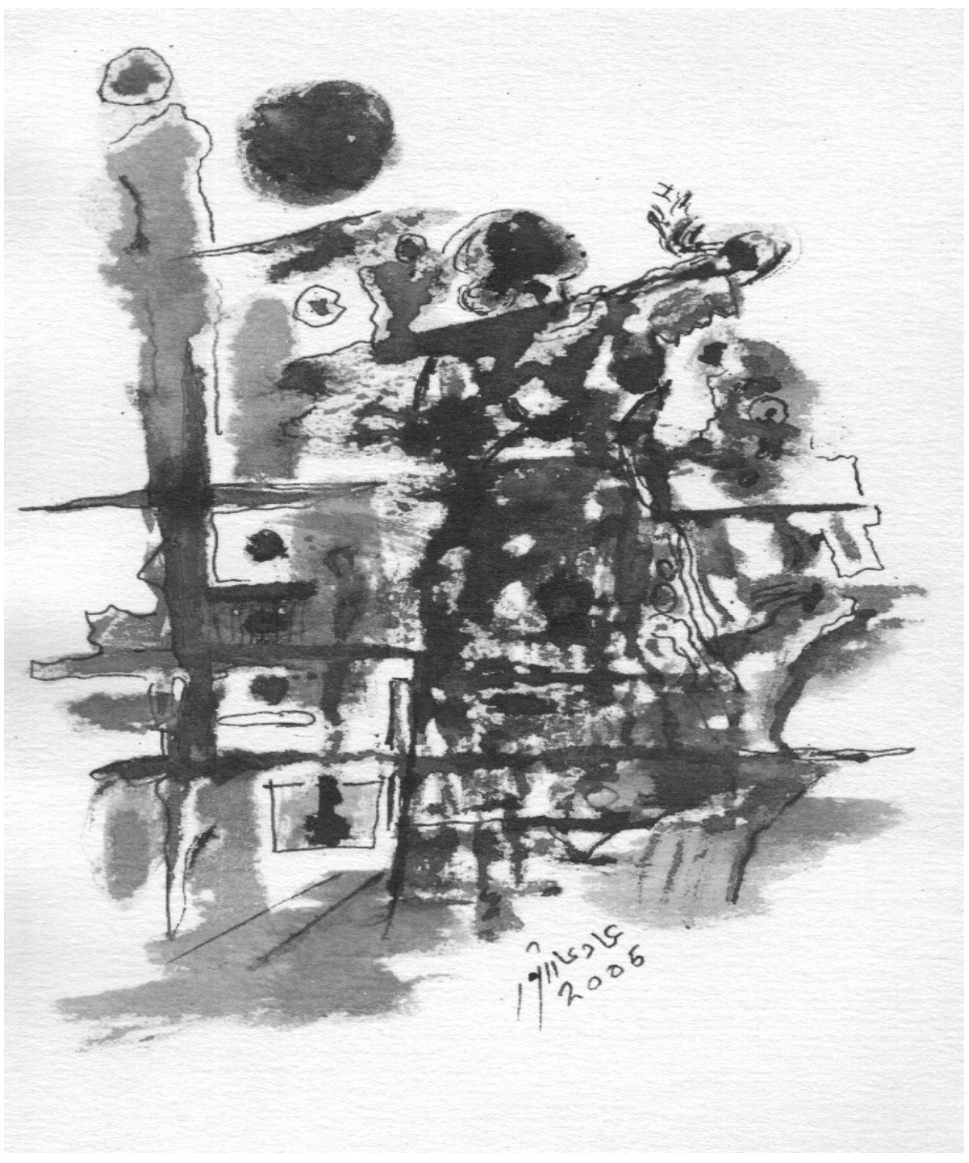

الحرب الاخيرة

حمدان طاهر المالكي

انتهى ما كان
البلاد تودع الحرب الاخيره
النوارس تفتح شبابيك البحر
وتعاود نحو مرافئها
والشوارع تكتسي
بلذة الانتظار
الناس يشذبون اطواق الشجن
عند حافة النهر
وهم يغسلون غبار الحرب
ويطلقون حمامات السلام
بهديل دموعهم
انها الحرب الاخيره
لكن ثمة رصاص يفح
انها الحرب الاخيره
لكن ثمة جثث طريه
تطوق ذوائب البلاد
انها الحرب الاخيره
لكن ثمة اطفال يبحثون
باهداب الاسى
نحو اغصان الحنان
انها الحرب الاخيره
لكن ثمة نساء
ترفرف دموعهن
عند المحطات بريق ترقب
هل انتهت الحرب؟

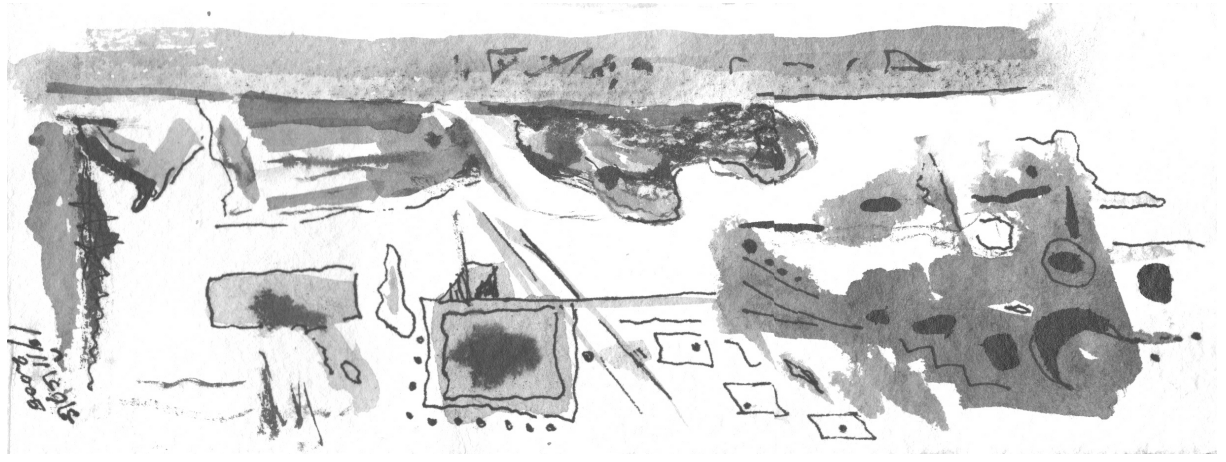

بين ضوء العشب وظلام السنابل

قراءة في قصص أنور عبد العزيز

نواف خلف السنجاري

عندما انتهيت من قراءة المجموعة القصصية الأخيرة (ضوء العشب) للقاص المخضرم أنور عبد العزيز قفزت إلى ذهني عبارة غوغول: "إن المناظير التي ينظر من خلالها إلى الشموس والتي تدرس بواسطتها الحشرات الدقيقة هي مدهشة بنفس القدر" فيحقق الكاتب هذه المقولة من خلال أفكاره العميقة والبسيطة التي تنبع من نفس (المنبع) كعين ماء قد يتحوّل ما تعطيه إلى جليد أو بخار كاوية! فما أجمل (العين) التي تراقب الجرذان والقطط والمجانين بنفس المنظار التي تراقب فيه الدراويش العاشقين الزاهدين الذين تلتهب في أرواحهم جمرات العشق الإلهي.. في هذه المجموعة يطغى الأسلوب (الروائي) على معظم النصوص، وتتبين لنا القدرة الفائقة للقاص على الوصف الدقيق والاسترسال غير الممل عجنتها السنين الطويلة (أكثر من نصف قرن) في كتابة القصة، وتمخضت عن ٦ مجاميع قصصية و ٧ مجاميع مشتركة .. وإذا عرفنا أن القاص أنور عبد العزيز بدأ بالنشر منذ عام ١٩٥٥ ومستمر في العطاء لحد الآن، وله - إضافة إلى كتابة القصة - مساهمات كثيرة في مجال النقد الأدبي والتراث الشعبي وحضور متميز ومتابعة دائمة لكل المستجدات على صعيد الساحة الثقافية يتجلى لنا أن هذا الكاتب معطاء كحقل سنابل ومستمر كشلال لا ينضب.. إن ذاكرة القاص المضيئة لم تفوتها صغيرة أو كبيرة ولا شاردة أو واردة في حياة المجتمع الموصلي القديم، وانك تحس البعد الإنساني للقص من خلال تناوله كل ما هو غير عادي وغير متوهج بل تراه يصف : (بيوت لا تدخلها الشمس- جدران متآكلة- أزقة ضيقة - غرف معتمة -شبابيك عتيقة -روائح عفنة كريهة - فئران -جرذان -ضباع -مقابر -عجائز -قطط -كلاب سائبة -مصارين وسوائل لزجة - مجانين) لكنك تخرج من هناك نظيفاً دون أن تصيبك شعرة واحدة على الرغم من امتلاء أنفك بالروائح النتنة !

وينقلنا الكاتب ببراعة من الأجواء الملغمة وأصوات الأنفجارات إلى الموصل القديمة (الميدان - القليعات -الشهوان -الكوازين - باشطابيا وقرة ساي) يحملنا إلى ناسها الطيبين إلى البراءة والنقاء إلى الحكايات القديمة و البعيدة عن السياسة والأصولية والنفاق .. قد يقول القارئ العادي إن مجموعة (ضوء العشب) لم تكشف لي جديداً ولم أستفد- على الأقل- منها وهي مجرد حكايات عادية غير هادفة.. ولكن القارئ المدرك والواعي سرعان مايكتشف إن ابتعاد القصص عن الغاية أو الهدف هو الذي يجعلها تغوص إلى تلك الأعماق من النفس البشرية " فوحده الشيء غير المفيد هو الذي يبعث على السعادة" - كما يقولون- .. إن الصور التي يضعها أمامنا الكاتب هي صور قديمة ولكنها (نقية) ولنا أن نقارن بينها وبين صور (الديجيتل) الحالية بكارثيتها وبشاعتها!

من الصفحة الأولى يبرز الثراء في اللغة وتظهر التعابير(المختلفة) التي تؤدي إلى معنى واحد مما يضفي على النصوص جمالاً وحيوية، ومن القصة الأولى يطفو الطابع الروائي للقاص إلى السطح وكأني به يريد أن يعبر من ضفة القصة إلى الرواية. كما أن ترابط خيوط القصص وتشابه تفاصيلها يشعرك وكأنك تقرأ رواية لا قصصاً قصيرة منفصلة.

في قصة (الوليمة) يصف الكاتب الجدة العجوز فيقول: (ولفرط نظافتها - لو تستطيع - لغسلت حتى الماء بماء أنقى وأطهر) أنظر عمق العبارة ومدلولاتها على الرغم من بساطتها..

وفي (ذات ليلة) وهي قصة لطيفة لامرأة عجوز يدخل جرذ كبير تحت ملابسها الداخلية... تشعر وكأنك أحد الموجودين في ذلك البيت وقد رأيت كل شيء كما لو انه حدث أمامك فعلاً ! وهنا تبرز قدرة القاص الفنية وعبقريته الفذة في تصوير الحادثة. أما في (القنّاص) فيصير القاص قنّاصا ذكيا يصطاد اللقطات النادرة وتتحول عينه إلى (كاميرا) تصور وتحصر بين أضلاع مستطيلها ما لا يمكن التعبير عنه بسهولة فيقول: (كان الرجل أصلب من عربته وحصانه) انه المصور- الفيلسوف- الذي يحكي لقطاته وليس القاص هذا ما تستشفه من عمق الوصف..

في قصة (وادي الليل) يطغى الخيال على الواقع الحقيقي، ويخبرنا الكاتب بأنه قادر على صنع الخيال كما يستطيع أن يراقب الواقع بكل تفاصيله.

قصة (ليلة جمر) يقول القاص على لسان بطله (الدرويش): " هذه النار أستطيع اقهرها، أقمعها، أمحقها، أمحيها وأحيلها فحماً وسخاماً ورماداً، لكن جذوة النار في القلب هي العصية، سر الأسرار المغلق الصامت وهنيئاً لمن أشرقت في قلبه الكشف..." انه الولوج والتوغل في أعماق الإنسان إلى أبعد أغوارها بظلماتها وإشعاعها.

(مالو ليلة السلطنة) قصة تحكي عن حياة حشّاش يبيع (السمسمية) وصديق للمجانين وكيف انطلق وحلّق بخياله عندما نظر الى (وسط صينية السمسمية) ليجوب أرجاء العالم وينعم بالسلطنة نتيجة (صفنة) خرافية استمرت من آذان العصر وحتى الفجر ! عشر ساعات من السياحة المجانية الساحرة التي تذكرنا برواية (مائة عام من العزلة) لماركيز ومفارقاتها العجيبة.

في (واقعة كبش) يصف لنا أنور عبد العزيز التسلط بكل وحشيته من قبل زوجة مأمور الشرطة، والذل والخنوع والاستسلام بكل ما فيه من مرارة من قبل الخادمة وجدية .. ولكنها لا تخلو من الفكاهة والمرح في المقلب الذي تمسرحه الخادمة فتسخر- على الرغم من بؤسها وشقائها- من خادمة القائمقام فتوهمها وتجعلها تقدم على حلب (الكبش) !

(أصليل) الفتى المجنون الذي يركض صيف شتاء عارياً ولم يلمس جسمه الماء أو تغطيه الملابس، يخلق في المدينة -آنذاك- فرحاً طفولياً لدرجة أن الأطفال اخترعوا له أغنية: " أصليل اكع، أنت تكع، وأنا أكع، بالميّة"..

ضوء العشب بقصصها (العشرين) بهرتني حقاً ووضعتني مباشرة أمام ذاكرة متوهجة لرجل تجاوز العقد السابع من العمر، وهو يقص علينا ويصف لنا دقائق الأمور والحوادث كما لو أنها حدثت للتو.. أتمنى أن لا تبقى هذه القصص نائمة فوق أدراج المكتبات وأن تطالها أيادي المثقفين والنقاد لقرائتها والتمحص فيها، وأقول لمن قرأها مرة واحدة أن يعيد قراءتها ليكتشف الظلال الخفية لتلك التماثيل الظاهرة للعيان، فيشكل (الظل والملموس) صورة بهية تأسر العيون و القلوب إذا نظرنا إليها من الزاوية الصحيحة.

بُقيا ظلال

عباس مزهر السلامي

مدخل
في حيز
لم يلجه الضياء
حيز ربما هو قبر
ربما هو جب
ربما الحيز هذا
غيبته السماء
❖❖❖
النص
كم عصي أن أطلق
الآن بوحي
وما بيننا دم
دلني يا .... وته في ظيائك
فالوقت ذا
ارجوحة من ظلال
قلت : أدنو
وليس سوى الليل
والدم
أأستل من شفة القيظ
وردي ؟
فما خبأ الجدب بين الشفاه
غير ماء وسراب
بين جرحين
دوننا دمنا
حيث وحل المسافة
أينا يملك الآن خطوة ؟
هي ذي
خطوة بلهاء أم شرفة
منها نطل
فيهزأ منا الطريق
وذا زيفها
بين عينين
دمعنا
خارطة الأسى
وبقيا ظلال
توسدها الريح تحت الرماد
هو ذا خبأنا العمر
في شفتيه
كلما راعه السر
دسنا
بين فكين
كلما اقتربت ضفة
لفنا الموج
بين فكين نحن
هكذا كالغريق